

تعريف الثقافة لغة واصطلاحاً تُعرّف الثقافة (Culture) لغة على عدّة أوجه، والثقاف هي الخشبة التي تُسوّى الرماح بها، فعند قول جملة (تثقيف الرماح) يعني تسوية الرمح بآلة الثقاف، ومن جهة أخرى تُعرّف الثقافة على أنّها الفطنة، فعند القول (ثقّف الرجل ثقافة) يعني أنّه صار رجلاً حاذقاً وذا فطنة، وباشتقاق كلمة ثقافة من الثَّقَف يكون معناها الاطلاع الواسع في مختلف فروع المعرفة، والشخص ذو الاطلاع الواسع يُعرّف على أنّه شخص مثقّف. [١] أمّا في الاصطلاح فتُعرّف الثقافة على أنّها نظام يتكوّن من مجموعة من المعتقدات، والسلوكات التي يتمّ تكوينها ومشاركتها ضمن فئة معينة، والثقافة التي يكونها أيّ شخص يكون لها تأثير قوي ومهم على سلوكه، [٢] وتدلّ الثقافة على مجموعة من السمات التي تميّز أيّ مجتمع عن غيره، والموسيقى التي تشتهر بها، [٣] تعريفات أخرى للثقافة يميّز مفهوم الثقافة بشموله لأنواع العلم، فهو يُستخدم في مختلف العلوم كعلم اللسانيات، لذا يُمكن إيجاد العديد من التعريفات حول هذا المفهوم بحسب الفرع المُستخدمة به، وفيما يأتي أكثر التعريفات استخداماً في الأوساط العلمية: [٤]

تعريف مالينوفسكي: يُعرّف مالينوفسكي (Malinowski) الثقافة على أنّها وسيلة تحسّن من وضع الإنسان، حيث يستطيع مواكبة التغيّرات الحاصلة في مجتمعه أو بيئته عند تلبية حاجاته الأساسية. تعريف تايلور: يرى تايلور (Taylor) الثقافة على أنّها نظام متكامل يشتمل على كلّ من المعرفة، وغيرها من الأمور التي يكتسبها الإنسان بوصفه أحد أفراد المجتمع. تعريف سايبير: حاول سايبير (Saper) وضع مفهوم شامل للثقافة، وهي كما يأتي: أيّ صفة يتّصف بها الإنسان يكون مصدرها الإرث الاجتماعي. مجموعة من الأفكار والمعلومات والخبرات التي تنتشر في مجتمع ما بسبب التأييد الاجتماعي لها، مجموعة من الأفكار التي تدور حول الحياة والاتجاهات العامة ومظاهر الحضارة التي يميّز بها شعب ما، ولمعرفة مزيد من المعلومات حول موضوع ثقافة الشعوب يمكنك قراءة مقال ثقافة الشعوب. كلايد كلوكهون: عرّف كلايد كلوكهون (Clyde Kluckhohn) الثقافة على أنّها إرث اجتماعي وصل إلى الأفراد من المجتمع الذي ينتمون إليه، والذي خلّف أساليب حياة الشعوب التي عاشت في ظلّ ذلك المجتمع، بمعنى آخر هي المعلومات التي خزنها الشخص في كتبه، ليزلي هوايت: ترى ليزلي هوايت (WHITE) الثقافة على أنّها وسيلة تساعد الأفراد على تنظيم معتقداتهم، والذي يُشكّل في النهاية أنماط سلوكهم. مكونات الثقافة تتكوّن الثقافة من مجموعة من العناصر الرئيسية، والتي تختلف وتتغيّر من ثقافة إلى أخرى، وتتطوّر بتطوّر المجتمع، [٥] وفيما يأتي توضيح لتلك العناصر: [٦]

الثقافة الماديّة: تُشير الثقافة الماديّة إلى الأمور الماديّة التقنيّة كالاتصالات، والتي يؤدي توافرها أو عدمه إلى إحداث تغيّرات مرغوبة أو غير مرغوبة في ثقافة أيّ مجتمع. اللغة: تعكس اللغة قيم وطبيعة المجتمع، وتمتلك بعض الدول أكثر من لغة أو العديد من اللهجات التي من المهم أن تؤخذ بعين الاعتبار؛ لأنّ عدم فهم اللغات أو اللهجات قد يؤدي إلى مشاكل في التواصل، وإذغ وُجد شخص ضمن ثقافة مختلفة عن الثقافة الأصلية يكون من المهم تعلّم اللغة السائدة ضمن الثقافة الجديدة، أو على الأقل يجب أن يكون هناك من يفهمها ويترجمها. الجماليّات: تُشير الجماليّات إلى كلّ ما يتعلّق بالجمال والذوق الرفيع داخل أيّ ثقافة، والدراما السائدة في مجتمع ما، ويؤدي اختلاف هذا العنصر بين مجموعة من الثقافات إلى الاختلاف في التصاميم والألوان، وغيرها من الأمور الجمالية داخل كلّ ثقافة. ولمعرفة مزيد من المعلومات حول العلاقة بين الثقافة والفن يمكنك قراءة مقال الثقافة والفن.

التعليم: يُشير التعليم إلى الأفكار، والمواقف التي يتمّ نقلها إلى الأفراد، إضافة إلى التدريب في مجالات معينة، ويهدف التعليم إلى إحداث تغيير في المجتمع، كما يتمتع كل مجتمع بمستوى من التعليم يختلف عن المجتمعات الأخرى. الدين: يساعد الدين السائد ضمن أيّ ثقافة في مجتمع ما على تفسير الكثير من سلوكات الأفراد الذين يعيشون فيه، وهو أفضل وسيلة تساعد على الإجابة عن سبب تصرّف الأشخاص بتصرّفات معينة بدلاً من الإجابة عن كيف يتصرّف الأشخاص ذلك. القيم والاتجاهات: تنشأ القيم في معظم الأوقات من أساس ديني، أمّا الاتجاهات فتدلّ على الموروث الاجتماعي للسلوك البشري الذي ساعد على تشكيل الثقافة.

التنظيم الاجتماعي: يُشير التنظيم الاجتماعي إلى الأسلوب والطريقة التي يتعامل بها أفراد المجتمع مع بعضهم البعض، والجدير بالذكر أنّ هناك عناصر أخرى تتكوّن منها الثقافة، لكن يُمكن اعتبار العناصر السابقة أنّها عناصر رئيسيّة في كلّ ثقافة. خصائص الثقافة يوجد العديد من الخصائص المميّزة لأيّ ثقافة، منها ما يأتي: [٧] الثقافة اجتماعيّة: تُعدّ الثقافة ظاهرة اجتماعيّة، فهي نتاج أيّ مجتمع ولا تتشكّل كظاهرة فردية، أي أنّها تحتاج إلى وجود مجتمع كامل حتى يستطيع أيّ فرد تشكيل وتطوير ثقافته من خلال تفاعله الاجتماعي مع الآخرين ضمن المجتمع. الثقافة سلوك متعلّم: لا تُعدّ الثقافة إراثاً بيولوجياً يورث من الآباء، كما أنّها ليست أمراً يُكتسب بالفطرة، أي يتمّ تعلّم السلوكات السائدة في المجتمع من خلال التفاعل والتواصل مع الأفراد الآخرين فيه. انتقال الثقافة: تنتقل الثقافة من جيل إلى آخر من خلال انتقال الصفات الثقافيّة من الآباء إلى أطفالهم، والذين بدورهم ينقلونها إلى أطفالهم مستقبلاً، والجدير بالذكر أنّ انتقال الثقافة ليس المقصود به انتقالها بالوراثة عن طريق الجينات، إذ تُعدّ اللغة الأداة

الرئيسية في أي ثقافة. قدرة الثقافة على إرضاء أفراد المجتمع: تقدّم الثقافة وسائل عديدة وفرصاً مناسبة من أجل تلبية الاحتياجات والرغبات بما يتوافق مع الطرق الثقافية السائدة في المجتمع، كما تساعد الثقافة على إشباع احتياجات الفرد من غذاء، اختلاف الثقافة من مجتمع إلى آخر: الثقافة ليست واحدة في جميع المجتمعات، فكلّ مجتمع له ثقافته الفريدة وطرقه الخاصة التي تميّزه عن غيره من المجتمعات، والمعتقدات من مجتمع إلى آخر. الثقافة مستمرة وتراكميّة: يمكن اعتبار الثقافة بأنها ذاكرة العرق البشري، فهي لا تسود في المجتمعات لفترة زمنيّة معينة ثمّ تُنسى، إنّما تُعدّ عملية مستمرة تنتقل من جيل إلى آخر مع إمكانيّة إضافة سمات ثقافية جديدة عليها. الثقافة ديناميكيّة: تتغيّر الثقافة من مجتمع إلى آخر ومن جيل إلى آخر عبر الزمن، مع الأخذ بعين الاعتبار أنّ تلك التغيّرات تتمّ بسرعات مختلفة. أهمية الثقافة توجد العديد من الأسباب التي تجعل الثقافة مهمة جداً، فيما يأتي ذكر لها: [٨] الأجداد: تُعدّ الثقافة مصدراً مهماً للحصول على معلومات تتعلّق بالأجداد والتاريخ، وكأنّها بوابة تساعدنا على الوصول إلى تاريخ أسلافنا والتعرّف عليه، ومعرفة التقاليد الثقافية التي كانت سائدة في وقتهم، فالثقافة قادرة على تخليد تلك الأمور. فهم الذات: تساعد دراسة الثقافة السائدة في المجتمع الذي ينتمي إليه الفرد على التعرّف على نفسه بصورة أفضل من خلال معرفة أصله وتاريخه بصورة واضحة، وبما يُعزز كرامة الفرد، وشعوره بالفخر بانتمائه إلى تلك الثقافة. التنوّع ومعرفة تطوّر الفرد: يُساعد التعمق بدراسة الثقافة على إلقاء نظرة على العصور القديمة، والتعرّف على الثقافات الأخرى، وتوضيح مراحل التطوّر التي مرّ بها الإنسان. القيم الأخلاقية: تمتلك كل ثقافة مجموعة من القيم والمعتقدات والمعارف الخاصة بها، والتي تساعد على إنشاء مجتمع أفضل، لذا فإنّ اتّباع ثقافة ما يغرس تلك القيم الثقافية في الشخص، ويجعل منه شخصاً مسؤولاً وقادراً على التفاعل مع مجتمعه ومع الآخرين. الانضباط: تشتمل كل ثقافة على مجموعة من القواعد والقوانين الخاصة بها، والتي يؤدي اتّباعها إلى الحصول على سلوك سليم ومنضبط، فقد وُضعت كل قاعدة في الثقافة لسبب ما، لذا من المهمّ التقيد بها بشكل صحيح وعدم إهمال التقاليد الثقافية السائدة. المعرفة: تُوفّر دراسة جميع جوانب الثقافة التي ينتمي إليها الفرد معرفة عميقة له عن ماضيه، فيصبح هذا الفرد أكثر دراية ووعياً به، إذ إنّ كل شيء تمّ شرحه في التاريخ. التعاطف: تهدف التقاليد الثقافية ضمن أيّ ثقافة إلى انتشار السلام بين سكان الأرض، فهي تُعلّم الناس كيفيّة التعايش مع الثقافات الأخرى السائدة في جميع أنحاء العالم، واحترام الجميع والتعاطف معهم حتى يسود السلام والأمان. فهم معنى الحياة: تساعد دراسة الثقافة على فهم المعنى الحقيقي للحياة التي نعيشها، فالثقافة توجّه الأشخاص نحو الطريق الصحيح الذي ينبغي اتّباعه في كلّ مرحلة تحتاج إلى تصرّف مُختلف من قبل الشخص. حماية الأجيال المقبلة: يُمكن حماية الأجيال القادمة من الابتعاد عن ثقافتهم من خلال نقل التقاليد الثقافية القيّمة التي تركها الأجداد والتي تتميز بالخبرة إليهم؛ المسؤولية: يساعد انتماء الشخص لثقافته ومجتمعه والتزامه بما فيه من عادات وتقاليد، وغيرها على أن يكون شخصاً مسؤولاً تجاه نفسه وتجاه مجتمعه. اكتساب الثقافة إنّ عملية اكتساب الثقافة هي عملية مستمرة، إلّا أنّ الكثير من المفاهيم الثقافية يكتسبها الفرد في سنّ مبكرة من حياته، فعند وصول الفرد إلى سن الخامسة يكون قد اكتسب عدداً من المفاهيم الثقافية الأساسية، ثمّ بعد ذلك يتمّ تطويرها تدريجياً في سن المراهقة من خلال التنشئة الاجتماعية وتفاعل الفرد مع مجتمعه، ومن أهمّ الأمور التي تساعد على اكتساب ثقافة ما: اللغة، ونمذجة (Modeling) الآخرين، وهناك صلة قويّة جداً بين اللغة واكتساب الثقافة، إذ يتمّ ترميز مفاهيم الثقافة، إنّ فإنّ الأشخاص الذين يستطيعون التكلّم بأكثر من لغة يدركون أنّ كلّ ثقافة لها مفاهيم وقواعد وعواطف مرتبطة بها وغير مرتبطة بالثقافات الأخرى. [٩] يُمكن اكتساب معظم الثقافة من خلال وعي الفرد، عن طريق ملاحظة تصرفات الآخرين وخطاباتهم، ويُمكن التعرّف على ثقافات أخرى واكتسابها من خلال العيش في مجتمعات ذات ثقافات مختلفة، أو التفاعل المستمر مع أشخاص من ثقافات أخرى، وفي هذه الحالة يُمكن دمج جزء من الثقافة الجديدة ضمن ثقافة الفرد نفسه، ومن الجدير بالذكر أنّ عملية اكتساب الثقافة قد تتمّ أحياناً بشكل غير واعٍ، وأحياناً أخرى قد يكون ذا أثر سلبي، إذ قد يتعرّض الفرد للعديد من المواقف التي يستطيع التصرّف بها بشكل تلقائيّ ومناسب بسبب القيم الثقافية التي يتحلّى بها، والتي تساعد على تقييم تصرفات الآخرين وأفكارهم والتعامل معهم بناءً على ذلك، أمّا في حال تمّ اكتساب القيم الثقافية بصورة غير صحيحة وسيئة دون قصد فإنّ ذلك قد يتسبب في حدوث مشاكل مع الآخرين. [٩] التغيّرات المؤثرة على الثقافة يوجد العديد من العمليات التي تؤدي إلى التغيّر في ثقافة مجتمع ما، ومنها ما يأتي: [١٠] النشر: (بالإنجليزية: Diffusion)، والسمات الخاصة بثقافة مجتمع معين في مجتمع آخر ذي ثقافة مختلفة تماماً. التثاقف: (بالإنجليزية: Acculturation) تحدث هذه العملية عندما تنتشر ثقافة جديدة على نطاق واسع في مجتمع آخر ذي ثقافة مختلفة لدرجة تطغى فيها الصفات الثقافية الجديدة على الثقافة الأصليّة، ما قد يفقد الأفراد ثقافتهم الأصليّة، مثال على حلول لغة معينة جديدة محل لغة السكان الأصليين في بلد معين

بعد احتلالهم لها. التبادل الثقافي: (بالإنجليزية: Transculturation) تحدث هذه العملية عند انتقال فرد لمجتمع ذي ثقافة مختلفة عن ثقافته الأصلية، عندها يعتمد الفرد ثقافة المجتمع الجديد، ومثال ذلك المهاجرين الذين ينتقلون من بلدهم الأصلي ويعيشون في بلد جديدة. تأثير الجغرافية على الثقافة تؤثر جغرافيا المكان بشكل واضح على كيفية تطور الأشخاص الذين يعيشون في مناطق معينة، فكل شخص يعيش في مكان ما يتكيف مع الظروف التي تحيط به ويستجيب لها، وكل شخص يطور من سلوكياته وعاداته للتأقلم مع المكان الذي يعيش فيه، وقد يتفاعل الأشخاص مع جغرافية المكان الذي يعيشون فيه بعدة أشكال كتدمير، أو تحسين السمات المادية والنظم البيئية التي تحيط بهم بما يناسبهم، ويسمى ذلك التفاعل بين البشر والأرض الجغرافية الثقافية (بالإنجليزية: Cultural Geography)، [١١] فيديو تعريفى عن ماهية الثقافة لمعرفة المزيد يرجى مشاهدة الفيديو.